كلية الآداب .
قسم التاريخ .
شعبة التاريخ الإسلامي .

الزراعة والصناعة في شبه الجزيرة العربية

من البعثة النبوية إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين

رسالة مقدمة من الطالب

عبد الله حافظ الحاج عبد الله
معيد في جامعة حلب

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إشراف

الأستاذ الدكتور
محاسن محمد علي الوقاد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
ورئيس قسم التاريخ
جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور
محمد نصر عبد الرحمن
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
المساعد
جامعة عين شمس

القاهرة
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

قال تعالى :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

سورة النحل ، الآية ١٠ ــ ١١ .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾

سورة النحل ، الآية ٨٠ .

صدق الله العظيم

قال رسول الله ﷺ : ﴿ من كانت له أرض فليحرثها فإن كره أن يحرثها فليمنحها أخاه فإن كره أن يمنحها أخاه فليدعها ﴾ .

صدق رسول الله

الدارمي : سنن ، ج٢ ، ص ٣٤٩ .

كلية الآداب

إدارة الدراسات العليا

اسم الطالب : عبد الله حافظ الحاج عبد الله .

الدرجة العلمية : دكتوراه في التاريخ الإسلامي .

القسم : تاريخ .

الكلية : آداب .

الجامعة : عين شمس .

سنة التخرج : ٢٠٠٣ م ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة حلب ، سورية .

سنة المنح : ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م .

كلية الآداب

إدارة الدراسات العليا

رسالة دكتوراه

اسم الباحث : عبد الله حافظ الحاج عبد الله .

عنوان الرسالة : الزراعة والصناعة في شبه الجزيرة العربية من البعثة النبوية إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين .

لجنة الإشراف والحكم :

الأستاذ الدكتور عفيفي محمود إبراهيم **رئيساً**

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية الآداب ــ جامعة بنها .

الأستاذ الدكتور محاسن محمد علي الوقاد

أستاذ التاريخ و الحضارة الإسلامية ورئيس قسم التاريخ **مشرفاً**

في كلية الآداب ــ جامعة عين شمس .

الأستاذ الدكتور محمد نصر عبد الرحمن **مشرفاً مشاركاً**

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد في كلية الآداب ــ جامعة عين شمس .

الأستاذ الدكتور سند أحمد سند **عضواً**

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد في كلية الآداب ــ جامعة عين شمس .

تاريخ مناقشة الرسالة ١٠ / ١ / ٢٠١٣ م .

الدراسات العليا

ختم الإجازة **أجيزت الرسالة بتاريخ**

/ / / /

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

/ / / /

إهداء

إلى من علمني الصبر والنجاح إلى أنشودة الكفاح التي لا تنتهي

. . . . . أبي الحبيب .

إلى السحابة التي أمطرت عمري حناناً ، وروت بساتيني تضحيةً

. . . . . أمي الحبيبة .

إلى الوردة التي منحتني من رحيقها لذة الحياة ، وطافت بروحي في آفاق النور

. . . . . زوجتي العزيزة .

إلى من عَشق ريح الشِمال وأَمِلَ أن تُقلّه إلى أرض الأجداد

. . . . . ابني الحبيب محمد .

إلى برعم الضياء الذي تفتح في سمائي ، وحبة قلبي ونور عيني

. . . . . ابنتي الغالية ريم .

إلى سندي وقوتي ، إلى من أمدوني بالأمل وتعلمت منهم الوفاء

. . . إخوتي وأخواتي وأبنائهم .

إلى من تعلمت منهم علم الحياة وحملوا لي الحب والإخلاص

. . . . . أعمامي وأخوالي وأبنائهم .

إلى الشمعة التي احترقت لتضيء دروب الآخرين

. . . عمي الحبيب الأستاذ عبد المجيد وزوجته وأبنائهم .

إلى الأرواح الطاهرة والزكية التي روت بدمها أرض الوطن

. . . . روح الشهيد عبد اللطيف مصطفى الحاج عبد الله والدكتور محمد العمر وشهداء أمتنا .

إلى أصدقائي وأحبائي ورفاق دربي في سورية ومصر

. . . . . إلى جميع الأوفياء منهم أهدي هذا العمل .

شكر وتقدير

لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأم الفاضلة العالمة الجليلة الأستاذة الدكتورة **محاسن محمد علي الوقاد** أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة عين شمس على تفضلها بالإشراف على هذه الرسالة ومنحي الكثير من وقتها وإحاطتي بالرعاية والتوجيه العلمي وتقديم النصح والإرشاد ، وتحملها الكثير من المتاعب في سبيل المراجعة المتأنية للرسالة وتقويمها بثاقب رأيها ؛ فجزاها الله عني كل خير وأمدها بوافر الصحة والعافية .

والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور **محمد نصر عبد الرحمن** أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد في كلية الآداب جامعة عين شمس الذي شرفني أيضاً بالإشراف على هذه الرسالة والذي كان أخاً قبل أن يكون معلماً، والذي لم يبخل عليَّ بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة ، فجزاه الله عني كل خير وزاده من علمه وفضله. والرحمة كل الرحمة إلى الروح الطاهرة والزكية التي فارقتنا وهي تفيض علينا علماً ومعرفةً الأستاذ الدكتور عبد المحسن طه رمضان الذي كان أول من أشرف علي في الماجستير والدكتوراه والذي استفدت منه الكثير وفارق الدنيا وهو ينثر علمه ودرره على طلابه فجزاه الله عني كل خير وأسكنه فسيح جنانه .

وأتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى الأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور **عفيفي محمود إبراهيم** أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب جامعة بنها الذي شرفني بقبول مناقشة هذه الرسالة والذي منذ أن عرفته أباً كريماً عطوفاً معطاءً لا يُمَلُّ حديثه ولا تُتْرك كلاماته لأنها دُرَرٌ أينما سقطت أنارت وأضاءت ، فجزاه الله عني كل خير وأمده بوافر الصحة والعافية . و الشكر كل الشكر للأستاذ الدكتور سند أحمد سند أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد في كلية الآداب جامعة عين شمس ،لتكرمه بقبول مناقشة هذه الرسالة والذي منذ أن عرفته أخاً كريماً ، لم يُشعرنا يوماً أننا غرباء عن هذا البلد وإنما من أهله ، والذي كان خير موجهٍ لنا وخير مساعد وخير صديق ، فجزاه الله عنا كل خير وزاده من علمه وفضله .

كما أتوجه بالشكر إلى **أعضاء هيئة التدريس** في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة عين شمس الـذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وكرمهم ، فجزاهم الله عنا كل خير . كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل مـن ساعدني في إنجاز هذا البحث وأخص بالذكر أعـضاء هيئـة التـدريس في قـسم التـاريخ ، كليـة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة حلب ، والأستاذة الدكتورة **شكران خربوطلي** أستاذ التـاريخ الإسـلامي في جامعة دمشق الذين قدموا لي الكثير من المساعدة والنصح والتوجيه فجزاهم الله عني كل خـير وأمـدهم بوافر الصحة والعافية .

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة : ..... ٧ - ١٩

التمهيد : جغرافية شبه الجزيرة العربية ــ أحوال شبه الجزيرة العربية عشية ظهور الإسلام ٢٣- ٤٨

الفصل الأول : العوامل المؤثرة في الزراعة والصناعة بعد ظهور الإسلام : ٥١- ١٠٠

أولاً : العوامل الإيجابية ..... ٥١ - ٧٩

العوامل الطبيعية : المناخ ــ التربة ..... ٥١ - ٥٨

العوامل الدينية : دور القرآن الكريم ــ دور الرسول ﷺ ــ دور الصحابة والخلفاء الراشدين..... ٥٨ - ٧٢

الأيدي العاملة : عرب ــ يهود ــ نصارى ــ مجوس ــ عبيد وموالي ..... ٧٢ - ٧٦

عوامل إيجابية أخرى ..... ٧٦ - ٧٩

ثانياً : العوامل السلبية ..... ٧٩ - ١٠٠

العوامل الطبيعية : جفاف ــ سيول ــ أمراض وآفات ..... ٧٩ - ٩٠

العوامل البشرية : نظرة العربي للزراعة والصناعة ــ حروب الردة ــ الفتنة في عهد عثمان وعلي ..... ٩٠ - ١٠٠

الفصل الثاني : الزراعة في شبه الجزيرة العربية ١٠٣-١٦٦

أولاً : الزراعة ١٠٣-١٥٣

المناطق الزراعية ١٠٤- ١١٧

الأساليب الزراعية ..... ١١٧ -١٢٠

طرق إعداد الأرض ومراحل الزراعة ..... ١٢٠ - ١٣١

الآلات المستخدمة في الزراعة ..... ١٣١ - ١٣٥

أساليب الري وأدواته..... ١٣٦ - ١٤٤

المحاصيل الزراعية ..... ١٤٤ - ١٥٣

ثانياً : الثروة الحيوانية (المواشي ــ الطيور الداجنة ــ النحل ــ الأسماك واللؤلؤ والمرجان) ١٥٤-١٦٦

الفصل الثالث : الصناعة في شبه الجزيرة العربية ..... ١٦٩ - ٢٢٩

الصناعات الغذائية ١٦٩- ١٧٥

صناعة الغزل والنسيج وأصباغها ١٧٥- ١٨٨

دباغة الجلود وخرازتها..... ١٨٩-١٩٤

الصناعات الخشبية ..... ١٩٤ - ٢٠١

الصناعات المعدنية..... ٢٠١-٢١٣

صناعة السلاح ٢١٣-٢٢١

صناعات أخرى..... ٢٢١-٢٢٩

الفصل الرابع : انعكاسات النشاط الزراعي والصناعي على الأوضاع الحضارية في شبه الجزيرة العربية..... ٢٣٣-٢٩٠

الانعكاسات الاقتصادية..... ٢٣٣-٢٦٠

الانعكاسات الدينية والاجتماعية ٢٦٠-٢٨٢

الانعكاسات الثقافية..... ٢٨٢-٢٨٦

الانعكاسات السياسية ٢٨٦-٢٩٠

الخاتمة ٢٩٣-٢٩٧

الملاحق ٣٠١-٣٠٩

المصادر والمراجع ٣١٣-٣٤١

المقدمة

تتناول هذه الدراسة جانبين مهمين من جوانب الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية ، وهما الزراعة والصناعة ، في فترة زمنية هي الأهم في تاريخ العرب والمسلمين وهي فترة عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، والتي تعد من الفترات الحاسمة والفاصلة في التاريخ ، حيث تمثل حجر الأساس في وضع ورسم الخطوط الأولى لبناء المجتمع العربي الإسلامي وتكوين الحضارة الإسلامية ؛ ففي هذه الفترة كانت بداية الفتوحات الإسلامية ، وفيها كان انتشار العرب والإسلام خارج شبه الجزيرة العربية ، و فيها رُسمت قاعدة الدولة العربية والإسلامية ، ووُضِعت الأسس الأولى في الإدارة والاقتصاد ، وتكونت الخطوط الرئيسة للمجتمع العربي والإسلامي ؛ ولعل أهم ما تتميز به هذه الفترة هي النهضة التي ظهرت آثارها في نواحي الحياة المختلفة ، إذ وضع الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون القواعد والأسس التي تبنى عليها المجتمعات .

ولما كانت الحياة الاقتصادية مظهراً من مظاهر الحضارة ، فقد عمد الرسول الكريم ﷺ والخلفاء الراشدون إلى الحضِّ على العمل وحاولوا تغيير نظرة بعض الناس السلبية للزراع و الحرفيين والصناع وإعطاء الناس منظاراً حضارياً جديداً مغايراً لما كان سائداً بينهم في تلك الأيام ، فنشط العمل الزراعي وإعمار الأرض والإقبال على الصناعات خصوصاً تلك التي كان يأنف منها بعض العرب كالحدادة والنجارة وغيرها ، مما أدى إلى زيادة في الإنتاج الزراعي والصناعي ، رغم المشكلات التي كانت تواجهها المنطقة والتي كان لها تأثيرها الكبير على الزراعة والصناعة مثل الجفاف وقلة الأمطار وقلة موارد المياه والأوبئة والحروب و الفتن و غيرها من مشكلات أخرى .

وقد كانت الحالة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية متعددة الجوانب ، فبينما اشتهرت بعض مدنها بالتجارة ، اختصت أماكن أخرى بالزراعة والصناعة والحرف ، إذ وجه أهل اليمن و اليمامة و بعض مدن الحجاز كالمدينة المنورة والطائف وغيرها من مدن البحرين وتهامة عنايتهم إلى تنمية موارد الثروة الزراعية وذلك من خلال حفر الآبار و الترع وجلب العبيد للعمل في الأراضي الزراعية ، حيث اشتهرت كل واحدة منها بإنتاج العديد من الحاصلات الزراعية مثل التمر والشعير والعنب والرمان والتين والبقول وغيرها ، وبعض

الخضروات مثل القرع والبصل والثوم والقثاء ؛ وقد تعددت نظم الزراعة في شبه الجزيـــرة العربية وأساليبها ، فساد نظام المساقاة والمخابرة والمزارعة والمغارسة وغيرها .

ولم يقتصر الأمر على الزراعة فقط وإنما تعداها إلى الرعي وامتلاك الثروة الحيوانية ، فقد حوت شبه الجزيرة أعداداً كبيرة من الثروة الحيوانية كالإبل والأغنام والماعز والأبقـــار وذلك لطبيعة الحياة التي كان يعيشها الإنسان العربي في تلك الفترة ، إضافة إلى تـــوفر الكـــلأ والشجيرات الرعوية التي تزدهر في مواسم معينة من السنة ، كما كانوا يملكون أعداداً كبيـــرة من الخيل لاستعمالها في ركوبهم وحروبهم ، إضافة إلى عددٍ من الحمير والبغال ، وكان لهذه الحيوانات أسواق نشطة في شبه الجزيرة العربية ، ناهيك عن الطيور الداجنة وتربية النحـــل و الثروة السمكية وما يستخرج من البحار من لؤلؤ ومرجان .

وقد برع سكان شبه الجزيرة العربية أيضاً في العديد من الصناعات لاســـيما الغذائيـــة منها والقائمة على الثروة النباتية والحيوانية كطحن الحبوب وكبس التمور واستخراج الزيـــوت من الزيتون والسمسم وتصنيع مشتقات اللبن وغيرها ، بالإضافة إلى شـــهرة بعـــض أقاليمهـــا بالصناعات النسيجية خصوصاً اليمن كالأردية والعمائم والعصائب وغيرها وكـــذلك صـــناعة الأثاث الذي كان يُصنع من الصوف والوبر والشعر ، كما أنهم صنعوا الأصـــباغ والعطـــور والكؤوس والمصابيح والفخار وحلي الزينة بأنواعها والسلاح من رماح وســـكاكين وســـيوف ودروع ؛ كذلك اهتم العرب باستغلال موارد بلادهم من الثروة المعدنية والطبيعيـــة للاســـتفادة منها في العديد من الصناعات لاسيما المعدنية منها كالحديد والذهب والنحاس .

وعلى الرغم من المكانة التي كانت تتميز بها شبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام على الصعيد الاقتصادي ، ومدى الانعكاسات التي نتجت على سكانها ، فإنهـــا لم تحظ إلا بقليل من اهتمام الباحثين والدارسين ، لأن التركيز كان منـــصباً علـــى النـــواحي السياسية والمغازي والفتوح التي أشبعت بحثاً ، والإحجام عن دراســـة العديـــد مـــن الأمـــور الاقتصادية والاجتماعية ، وإن وجدت بعض الدراسات القليلة التي تشمل جانباً بسيطاً من هـــذه الجوانب ، إلا أنها لم تقتحم التخصص بجانب محدد وبفترة زمنية قصيرة ، وانطلاقاً من هـــذا كان اختيار موضوع " **الزراعة والصناعة في شبه الجزيرة العربية من البعثة النبويـــة إلـــى نهاية عصر الخلفاء الراشدين** " .

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يلقي الضوء على جـــانبين مهمـــين مـــن الجوانـــب الحضارية ، كان لهما الأثر الكبير في حياة سكان شبه جزيرة العرب ، إذ لا يمكن لأي إنسان أن يفهم تاريخ أمة ما دون فهم النواحي الاقتصادية ، والتي تشكل جزءاً مهماً مـــن تجربتهـــا الإنسانية ، وتحيلنا إلى فهم الجوانب الحياتية الأخرى ، كما أن دراسة الجوانـــب الاقتـــصادية تضعنا أمام خبرة وتنظيمات الأمة وقدرتها على التطور ، وهذا الأمر من شأنه أن يقدم صورة حقيقية عن مسيرة الأمة ويجنبنا الوقوع في قبضة الدراسات السياسية الكثيرة ، وبهذا المعنـــى تكون دراسة الحياة الاقتصادية جزءاً مهماً من دراسة التاريخ الحضاري للأمة ؛ بالإضافة إلى تعريف القارئ بأهمية الزراعة في تلك الفترة الزمنية وأساليبها وطرقها ، وأهـــم المحاصـــيل التي تنتجها ، إضافة إلى أهمية الصناعة وأنواعها وانعكاس كل منهما علـــى المجتمـــع ؛ وإن دراسة هكذا جوانب حضارية لذلك العصر يقدم لنا مقارنة بين حالة هذا الجانب قبل الإســـلام وحالته بعد الإسلام في ظل توجيهات الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وهو الأمر الذي ينتهـــي بنا إلى معرفة تاريخية موثقة بتلك النقلة الحضارية التي أحدثها الإسلام في حياة العرب علـــى المستوى المادي والمعاشي .

أما عن الصعوبات التي واجهها الباحث في هذا الموضوع ، فهي توزع المادة العلمية وتشتتها في بطون الكتب التاريخية والدينية والفقهية والجغرافية والأدبية وعدم تجانـــسها فـــي أحيانٍ كثيرة ، مع قلتها في الكتب التاريخية ، إذ لم نجد من مؤرخينا من أفرد لهـــذا الجانـــب الحيوي العناية التي تستحق ــ خصوصاً في الفترة التي نحن بصددها ــ عدا القلة القليلة أمثال الخزاعي (ت ٨٩٧ هـــ) في كتابه الدلالات السمعية ، والنابلسي (ت ١١٤٣ هـــ) في كتابه علم المَلاحة في علم الفلاحة ، إذ كان التركيز منصبَّاً على السيرة النبوية الشريفة والمغـــازي والفتوح ، وإغفال العديد من الجوانب الحضارية الأخرى ، والاختلافات الكثيرة خصوصاً فيما يتعلق بالأرقام والأحجام ؛ ولم تكن كتب التاريخ وحدها كافية لرسم ملامح الحياة الاقتصادية ، الأمر الذي تطلب من الباحث الصبر الشديد و التدقيق ، والاستعانة بالكتـــب الفقهيـــة وكتـــب الخراج والأموال ، إضافة إلى الكتب الجغرافية والأدبية ؛ ومن ناحية أخرى فإن قلـــة تطـــرُّق الدارسين والباحثين الجدد لهكذا موضوع أو للموضوعات الاقتصادية زاد من مشكلات البحث ، كما لعب قصر الفترة الزمنية دوراً كبيراً في زيادة هذه المشكلات ؛ والأصعب من ذلك كلـــه أن إعداد الرسالة كان في فترة زمنية عرفت بالربيع العربي وما نتج عنها من أحـــداث تـــدمي